Ḥawla ẓurūf tashyyīd mallāḥ madīnat Maknās fī ʿahd al-Mawlā Ismāīl (1672-1727)

حول ظروف تشييد ملاح مدينة مكناس في عهد المولى إسماعيل (1672-1727)

محمد اللحية

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس

مقدمة

تعني لفظة "الملاح" بالمغرب، كما هو معلوم، الأحياء الخاصة باليهود، وتناظرها مثلا في هذا الاستعمال لفظة "الحارة" التي كانت تؤدي المعنى ذاته ببعض مدن إفريقيا الحفصية.[1] وقبل الوقوف عند السياق التاريخي لارتباط لفظة الملاح بأحياء اليهود، وجب التوضيح أن تمركزهم في أحياء خاصة ظاهرة تقليدية، يشهد عليها أنهم كانوا يعيشون في جل مدن بلاد المشرق العربي والأندلس خلال العصر الوسيط في هيئة جماعات منفصلة عن باقي السكان المسلمين داخل أرباض أو دروب مغلقة.[2] كما أننا نجد ذات الظاهرة بمدينة مكناس نفسها قبيل عصر المولى إسماعيل (1672-1727)، حسبما سيأتي .

غير أنه إذا كان انتظام اليهود وتجمعهم في أحياء منفصلة عن المسلمين، يستجيب في هذه الحالة لرغبة ذاتية، فإن القرن الخامس عشر عرف ظهور أول حي مخصص لهم بمبادرة رسمية، فكان ذلك بالعاصمة فاس، حيث وقع تجميع كل يهودها بحي محصن، سبق للمرينيين أن شيدوه في القرن الثالث عشر جنوب قصرهم

1. أندري ريمون، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، ترجمة لطيف فرج (القاهرة: دار الفكر، 1999)، 132؛ عبد العزيز الدولاتي، **مدينة تونس في العهد الحفصي** (تونس: دار سرس للنشر،1981)، 102؛
Simon Lévy, "Hāra et Mallah: les mots, l'histoire et l'institution (toponyme et histoire)," in *Histoire et linguistique*, Actes de la table ronde déroulée à Marrakech du 25 au 26 mai 1990, Abdelahad Sebti éd. (Rabat: Publications de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines, 1992), 47.

2. ينظر بخصوص مدن المشرق: ريمون، **المدن العربية الكبرى**، 221، والمدن الأندلسية: ليوبولدو طريس بالباس، **الحواضر الأندلسية**، ترجمة محمد يعلى، ج.1 (الرباط: دار أبي رقراق، 2007)، 336.

لنزول الرماة الأندلسيين.[3] وبما أن الموضع الذي بُني فيه كان يعرف بالملاح،[4] فقد اتخذ الحي اسم موضعه، ليتحول فيما بعد إلى "اسم مجموعة دينية،" تعرف به كافة الأحياء الخاصة باليهود، سواء منها تلك التي أسست بمبادرة من اليهود أنفسهم في كثير من البوادي وبعض المدن الأخرى، أو ما شُيِّدَ منها إثر صدور قرار سياسي بذلك مثل أحياء مراكش ومكناس والرباط وسلا وتطوان ودمنات.

ولعل أنه من بين قضايا كثيرة لا تزال في حاجة إلى البحث بخصوص الملاحات التي شيدها السلاطين، نذكر العوامل أو الأسباب التاريخية الفعلية المفسرة لإنشائها. إذ على الرغم مما يكتسيه ظهورها من أهمية اجتماعية، فالمصادر لا تؤرخ لها سوى بإشارات مقتضبة ومعزولة عن واقعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي المفترض، حيث تكاد تحصر أسباب إنشائها في حرص الحكام على توفير الأمن والطمأنينة لليهود، أو في حرصهم على تجنب الاحتكاكات والمصادمات بين هؤلاء والمسلمين لأسباب دينية أو أخلاقية.[5] وبذلك تظل الدوافع أو الأسباب الحقيقية لظهورها ملتفة بالغموض، مما يفسح المجال أمام بعض الباحثين لتقديم تأويلات سلبية بشأن الملاحات المذكورة، ومنها الميل إلى اعتبارها بمثابة "گيتوهات" أعدت للعزل والحجز.[6]

ونسعى من خلال تناولنا لموضوع ظروف إنشاء ملاح مكناس في عهد المولى إسماعيل إلى الإسهام في الكشف عن بعض الأسباب الموضوعية التي حملت بعض سلاطين المغرب على التفكير في نقل اليهود من أماكن تمركزهم القديمة، وتجميعهم في أحياء منفصلة عن المسلمين. وهذا مع العلم أن الموضوع ذاته سبق أن طرحه الباحث عبد العزيز الخمليشي في مقال له بعنوان: "حول مسألة بناء الملاحات بالمدن

3. روجي لوطورنو، **فاس قبل الحماية**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992)، 102.

4. لقد اهتم الباحث شمعون ليڤي (Simon Lévy, 47) بالمدلول الطبونومي للفظة "الملاح" فانتهى إلى أنها تحيل على مكان أو سوق بيع الملح، في مقابل "الملاحة" التي تحيل على مكان استخراجه. لكن استنتاجه تعارضه بعض معطيات الوثائق، لأن نفس المكان الذي يسميه مثلا الجزنائي (علي الجزنائي، **جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، (الرباط: دار المنصور،1977)، 35) بـ "الملاحة" بواد مكس، تسميه إحدى وثائق العهد السعدي (الحوالة رقم 5 ن.م: 4-7) بـ "الملاح الكبير" أو "ملاح بني زرزور،" بمعنى أنه لا يوجد خلاف بين اللفظتين، مما يدعو إلى مراجعة الاستنتاج المذكور.

5. عبد الرحمن بن زيدان، **العز والصولة في معالم نظم الدولة**، ج. 2 (الرباط: المطبعة الملكية، 1962)، 132؛ عبد العزيز الخمليشي، "حول مسألة بناء الملاحات بالمغرب،" **دار النيابة** 4 (1987): 21-28؛ 5 (1988): 30-41.

6. ينظر كمثال في هذا الشأن: لوطورنو، **فاس قبل الحماية**، ج.1، 272-273.

المغربية،"[7] بالاستناد أساسا على رواية وحيدة قدمها القادري عن حدث إنشاء هذا الملاح. لكن يبدو لنا أن اقتصار الباحث المذكور على معطيات هذه الرواية الغامضة قد جعله يجانب الصواب والواقع في تأوليه لظروف إنشائه، وهو ما سنوضحه في الصفحات اللاحقة.

اعتمدنا في مناقشتنا لهذا الموضوع على وثائق الحوالات الحبسية ووثائق بعثة الفرنسيسكان بطنجة. والمقصود بالأولى، وثائق المؤسسات الوقفية بالمدينة، وبالثانية مجموع الرسوم العدلية والظهائر السلطانية الموجودة في حوزة هذه البعثة النازلة بمكناس في عصر المولى إسماعيل، وبموجبها وقعت حيازتها للبقع الأرضية التي أقامت عليها ديرا ومستشفى لمعالجة الأسرى المسيحيين المحتجزين بها.[8] وقد أسعفت معطياتها على تقديم تصور عن كيفية تمركز اليهود بالمدينة قبل خروجهم إلى الملاح، كما يسرت لنا إمكانية مناقشة ظروف بناء الملاح وخصوصياته الطبوغرافية والمادية في ضوء سياسة المولى إسماعيل العمرانية بعاصمته مكناس.

I. مواقع تمركز اليهود بالمدينة قبل سنة 1093 هـ/ 1682م

لم يسبق-فيما نعلم-أن حُدِّدت من قبل نقط تمركز اليهود في المدينة، باستثناء ما ذكره يوسف طوليدانو (Joseph Tolédano)، نقلا عن رحلة جمعية الرحمة (De-La-Merci)، تفيد بوجود حيهم بنفس مكان حومة القنوط،[9] وإشارة الصحفية اليهودية باسكال سيست (Pascale Saissete) دون ذكر سندها، إلى سكناهم قبل الاستقرار بالملاح، في حومة الصباغين قريبا من رياض الجامعي.[10] أما الوثائق المتوفرة، فتكشف عن وجود خمسة معالم لهم هي: مقابر الذميين وقيساريتهم وثلاثة أحياء سكنية. (ينظر الشكل1)

---

7. الخمليشي، "بناء الملاحات بالمغرب،" 23-24.

8. محمد اللحية، **محددات نشأة المدينة المغربية الوسيطية وتمدنها، مدينة مكناس (452-645هـ/ 1060-1247م** (فاس: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس-سايس ، 2011): 18-19.

9. Joseph Tolédano, *Le temps du Mellah* (Jérusalem: Éditions Ramtol, 1982), 66.

10. Pascale Saisset, *Les heures juives au Maroc*, in Tolédano, *Le temps du Mellah,* 354.

1. مقابر الذميين

وقد وردت الإشارة إليها في سياق عدة نصوص وقفية أبرزها ما تضمنته شهادة عدلية مؤرخة في ذي القعدة 1116هـ/مارس 1705م، حيث سجل الشهود الموقعون عليها بمعرفتهم ما يأتي:

"جميع البقعة من الأرض المعروفة قديما بمقابر أهل الذمة من حضرة مكناسة حرسها الله، وهي التي بين ثلاث طرق فاصلة بينها وبين غيرها. فمن الجهة العليا ما حاز السور القديم المستدير بمقابر أهل الذمة عن يسار المار من درب ست هنو منعطفا كذلك إلى باب زقاق القرموني من جهة رحبة الزرع القديمة. ومن جهة السفلى تتصل بصابة الزرار إلى مدخل دار السيد عبد الواحد الكاتب من قاع وردة، المعرفة التامة ويشهدون مع ذلك بأن جميع البقعة المذكورة المحدودة كانت لجانب بيت مال المسلمين عمره الله."[11]

تمكننا معطيات هذه الوثيقة التي لا تزال المعالم الطوبوغرافية الواردة بها معروفة، من ضبط مكانها تقريبا بذات الفضاء الذي يحتله حاليا حي القنوط، الواقع بالجهة الشمالية الشرقية من المدينة، غرب حومة قاع وردة، وشمال حومة جامع الزيتونة. وبناء عليه، يمكن تقدير مساحة هذه المقابر إضافة إلى درب لليهود يفترض أنه كان متصلا بها-كما سيأتي-بثمانية آر (8 آر) على وجه التقريب.[12] وهي مساحة تبدو أقل من نظيرتها التي ستخصص للملاح الذي تم إنشاؤه، إلا أن أهميتها تبدو من خلال توسطها أسوار مدينة مكناس مع صغر مساحتها، مما يُفَسر بكونها أصيلة في بنيتها الأولى، كما سبق ترجيحنا لذلك.[13]

بيد أن ما يثير التساؤل حول هذا الفضاء المخصص لدفن اليهود، هو وصفه في الوثيقة بالمقابر بصيغة الجمع. فما معنى أن يحتضن فضاء واحد مجموعة من المقابر، هل يشير ذلك إلى تمييز لأماكن الدفن بين قديمها وحديثها، أم أنه يعكس تمييزا اجتماعيا أو طائفيا غير معروف؟ هذه أسئلة تتعذر الإجابة عنها إلى هذا الحين.

---

11. **الحوالة رقم** 5 ، نس. مس، 75-76.
12. تم الاعتماد في تقدير هذه المساحة على تصميم مقياسه: 1/5000 وباستعمال أوطوكاد، (AutoCad) .
13. اللحية، **محددات نشأة المدينة**، 152.

ويصعب أيضا تقديم تاريخ دقيق بخصوص التوقف عن الدفن بهذه المقابر لعدم توفر دليل حاسم، إلا أنه يجوز افتراض وقوع ذلك بها قبيل سنة 1095هـ/1684م، استنادا إلى معطيات هذه الوثيقة وقرائن أخرى تشير إلى تقسيم السلطان في التاريخ المذكور لأراضيها بين أوقاف المسجد الأعظم وجماعة الدباغين المسلمين بالمدينة، بغية اتخاذها مؤقتا دارا للدباغة، فعاد السلطان إلى نزعها من أياديهم ومنحها للأسرى المسيحيين ليقيموا بها مساكن يأوون إليها.[14] ولما كان هؤلاء يطلقون على مكان سجنهم السابق اسم "القنوط،" فقد نقلوا الاسم نفسه إلى مستقرهم الجديد،[15] وهي تسمية معتمدة في الزمن الراهن.

2. قيسارية الذميين

وجدت بمكناس عند تولية المولى إسماعيل الحكم ثلاث قيساريات،[16] اثنان منها كانت للمسلمين، وهما "قيسارية البز" الموجودة شرق المسجد الأعظم بين سوق التيالين وسوق الشهود،[17] وقيسارية الصباغين المعروفة ب "قيسارية ذات البابين" لتوفرها على باب يفضي إلى أسواق النجارين، وباب آخر ينفتح على سوق الصباغين.[18] وعلى الجهة الأخرى بما يقابل الباب الأخير، كانت توجد عند نقطة تقاطع شارع الصباغين بشارع النجارين، قيسارية ثالثة تنسب للذميين أو اليهود تشتمل على أربعة وعشرين دكانا.[19] ولا تبين الوثائق طبيعة نشاطها الاقتصادي، لكن باعتبار أن صف الدكاكين الواقع بجهة مسجد گناوة، على يمين بابها كان في اعتمار "حرارين اليهود،"[20] لن يستبعد أن تكون دكاكين القيسارية مخصصة أيضا لمعالجة خيوط الحرير.

ظلت القيسارية المذكورة بأيادي اليهود إلى حدود سنة 1113هـ/1701م، حيث تولى المعلم محمد بن الأمين المغتي، وهو فيما يبدو أحد اليهود المعتنقين للإسلام،

14. **الحوالة رقم 5**، نس.مس، 32.

15. Henry Koehler, "Quelques points d'histoire sur les captifs chrétiens de Meknès," *Hespéris* VIII (1928): 181.

16. انظر بشأن التوزيع الطوبوغرافي لهذه القيساريات وأسواق المدينة بشكل عام اللحية، **محددات نشأة المدينة**: 146، 341-355.

17. **الحوالة رقم 4**، نس.أ، 23-24.

18. **الحوالة رقم 5**، نس.مس، 39-40.

19. **ذاتها**، 40-41.

20. **الحوالة رقم 4**، نس.أ، 23.

توسيعها بإضافة "تربيعة" مفتوحة على الشارع النازل إلى النجارين،[21] بينما عمرها بعد تاريخه جماعة "السقاطين،" فحملت منذئذ اسم قيسارية "السقاطين" أو "الجوطية."[22]

3. الأحياء السكنية

تكشف الوثائق المتاحة أيضا عن وجود ثلاثة أماكن لاستقرار اليهود بمدينة مكناس قبل بناء ملاحهم وهي:

- **درب اليهود بـ"باب عيسي،"** وكان موقع هذا الباب قبل هدمه قبيل سنة 1095هـ/1684م بالناحية الجنوبية الغربية للمدينة عند منتهى الشارع المنطلق من محيط المسجد الأعظم والمار بحومة حمام جديد، بما يمكن توطين مكانه بموضع "باب فيلالة" تقريبا.[23] أما الإشارة لوجود درب اليهود بجوار "باب عيسي،" فقد تضمنها رسم عدلي سجلت في ثناياه أملاك المسمى السيد مسعود أمجاج بتاريخ أواسط شوال 1080هـ/مار س1669م، يرد فيه ما يلي:

> "جميع الروى الكائن بدرب اليهود من جوار المعصرة [...] وجميع الخربة الكائنة بممر باب عيسي، الأولى عن يسار الداخل للدرب المذكور بدرب اليهود من ناحية الممر المذكور [...] وجميع العرصة المقابلة للخربة المذكورة من جار الصور(ك)."[24]

وتسمح هذه المعطيات بتحديد مكان الدرب المذكور، بوجه التقريب، على يسار الخارج من المدينة عبر باب عيسي، مجاورا في امتداده أو طوله سور المدينة، ومحدودا بجنوبه بسور القصبة المرينية. أي أنه كان أول درب يصادفه الداخل للمدينة من باب عيسي على يمينه، بما يمكن توطين مكانه اليوم، على وجه الاحتمال، على مستوى الناحية الغربية لساحة لالة عودة.

---

21. ذاتها، 75.
22. **الحوالة رقم 5**، نس.مس، 42.
23. اللحية، **محددات نشأة المدينة**، 124.
24. **الحوالة رقم 5**، نس.مس، 186.

- درب اليهود بجوار مقابر الذميين

ذُكر هذا الدرب في عقد بيع لإحدى معاصر الزيتون، حرر في صفر 1095هـ/ يناير1684م، وتمت الإشارة إليه في السياق التالي: "كافة المعصرة الكائنة بدرب اليهود، المجاورة للمسجد (مسجد القطانين أو الحشايين).[25] وفي وثيقة أخرى مؤرخة في مارس من السنة نفسها، يرد تحديد مكان المعصرة ذاتها كالآتي: "كافة المعصرة [...] الكائنة بالقطانين [...] تقابل دار مزاحم وبأعلاها المسجد الذي هناك (مسجد القطانين) وبظهر الفندق الذي هو مقابر الذميين."[26]

واستنادا إلى العلامات المكانية الواردة في الوثيقتين، يبدو درب اليهود المذكور منتميا لفضاء مقابر الذميين، منفتحا على سوق القطانين؛ وعند مدخله من جهة اليمين، كانت توجد معصرة الزيتون، فاصلة بينه وبين مسجد الحشايين الموجود بأعلى هذه السوق.

- سكنى اليهود بحومة الصباغين

علاوة على وجود الحيين اليهوديين المذكورين، تتضمن إحدى الوثائق ما يفيد أيضا باستقرار اليهود في الصباغين بنفس المحيط المحتضن لقيساريتهم، وذلك تحديدا بالدرب المقابل لـ "سوق الحرارين،" المعروف اليوم بدربـ "الخواجة عديل" والمشار إليه بـ "درب الهرْي" في الوثائق القديمة براء ساكنة.[27]

ويتعلق الأمر بعقد شراء مؤرخ في أوائل شوال 1084هـ/يناير1674م، سجل في ثناياه شراء المسمى سعيد بن عبد الرحمان بن عيسى وولد أخيه محمد بن عبد الرحمان "من البائع لهما المعلم محمد بن الأمين المعتي جميع الخربة الكائنة بدرب الهرْي [...] من جوار دار ابن يعيش وابن هدي والذمي عازأر (ك) بهلول اليهودي..."[28]

ومما يفيد باستقرار اليهود على مستوى هذا الدرب، فضلا عن احتضانه دار الذمي عازأر (ك) بهلول، الواضح الانتماء، وجود ما يرجح كون بقية المالكين

25. راجع بشأن تسمية هذا المسجد وسقايته اللحية، **محددات نشأة المدينة**، 340.
26. **الحوالة رقم 5**، نس.مس، 80.
27. **الحوالة رقم 4**، نس. أ، 16، 28 ،127.
28. **ذاتها**، 127.

بدورهم من أصول يهودية اعتنقت الإسلام. أما المعلم محمد بن الأمين، فإن كناش "بيوتات مكناس" الموضوع في عهد المولى إسماعيل بغرض ضبط أنساب سكان عاصمته، يدرج بصريح العبارة اسم أولاد بن الأمين ضمن أسر "البلديين؛"[29] بينما نرجح ذلك بالنسبة للمالكين الآخرين (ابن يعيش وابن هدي) على أساس أن اسم كل واحد منهما قد ورد ذكره متفردا في الوثيقة وفقا للصيغة الجاري بها العمل في ذكر البلديين، إذ عادة ما تثبت أسماؤهم مجردة من كل نسب، إلا في حالات قليلة حين تسجل في ثناياها نسبتهم لبلدهم الأصلي.[30]

واستنادا إلى ما ذُكر، يمكننا التأكيد أن "درب الهرْي،" الواقع بحومة الصباغين، يُعد ضمن أماكن سكنها اليهود بمدينة مكناس، بيد أنه من الصعب كليا، القول بأن الدرب المذكور كان في أصله حيا خاصا بهم، إلا إذا ثبت أن تسميته الصحيحة هي "درب الهدْي" بالدال بدل الراء، وأن هذا القلب في الحرفين هو ربما مجرد خطأ ارتكبه الناسخ. وإذا ما ثبت ذلك، جاز لنا تقديم هذا الاحتمال، استنادا إلى إشارة كل من المقري التي يذهب فيها عند حديثه عن باب اليهود بقرطبة، إلى أن الأندلسيين "استقبحوا قولهم باب اليهود فقالوا باب الهدي،"[31] وإشارة ليڤي بروڤنسال التي يذكر فيها أن أحياء يهود بعض المدن مثل طليطلة وسرقسطة كان يفضل إضافتها إلى"الهدي" بدل نسبتها إلى اليهود، للسبب المذكور نفسه.[32]

ومهما كان الأمر، يمكن التسليم بأن استقرار اليهود بحومة الصباغين أمر وارد جدا إما على نحو مختلط مع المسلمين أو مستقلين عنهم، بدليل ما تقدم توضيحه، وباعتبار حضورهم الاقتصادي بها. وتسمح كيفية توزيعهم الجغرافي بالمدينة بشكل عام بإبداء الملاحظات التالية:

29. عبد الرحمن بن زيدان، **المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل**، تحقيق عبد الهادي التازي (الدار البيضاء: مطبعة إديال، 1993)، 217.

30. عدد "البلديين" ضمن التقييد المذكور هو 52 اسما منهم 19 فقط من ينسبون لبلدتهم، انظر المصدر السابق، 217-218.

31. أحمد بن محمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق إحسان عباس (بيروت:دار صادر، 1968)، ج.1، 156.

32. إڤاريست ليڤي بروڤنسال، **الإسلام في المغرب والأندلس**، ترجمة محمود عبد العزيز سالم وصلاح الدين حلمي (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، دون تاريخ)، 65.

أولا: إن تمركزهم بقلب المدينة من جهة، وتوفرهم على مقابر مسورة في وسطها من جهة أخرى، ليعتبر دليلا كافيا على أن وجودهم بها يرتبط بنشأتها الأولى، منذ أن كانت في هيأة حصن هو حصن تاگرارت الذي وقع إحداثه أواخر الدولة المرابطية.[33]

ثانيا، يشير وجود حيين منفصلين لساكنة من اليهود بالمدينة جوار مقابرهم وعند مدخل باب عيسي، إلى تقليد أندلسي شائع، حيث كان التوجه السائد لدى الجماعات اليهودية هو العيش في أحياء منعزلة تكون مجانبة للأزقة التي تعرف حركة المرور في المدينة الإسلامية.[34] وهذا نفسه ما يلاحظ بصفة خاصة في حالة درب اليهود القريب من باب عيسي. ومن هنا يجوز التساؤل إن كان وجود هذا الحي مرتبطا بموجة الهجرات اليهودية من الأندلس والتي توصف بأنها كانت قوية نحو هذه المدينة؟[35]

ثالثا، تُظهر طريقة تمركز دور اليهود السكنية ومرافقهم الاقتصادية والدينية (المقابر) بمدينة مكناس عمق تعايشهم مع المسلمين. ومن الأمور الدالة أيضا والأكثر تعبيرا عن هذه الحالة وجود قيساريتهم ودكاكينهم ومساكنهم بحومة الصباغين على بضع خطوات من مسجد گناوة. بل والأكثر من ذلك أن تكون مقابرهم ودربهم المجاور لها، شبه لصيقة بمسجد سوق القطانين. إنها حقا صورة تختلف عما نقلته بعض المصادر عما كان يخلقه مثل هذا الجوار للمسلمين من مضايقات دينية وأخلاقية على مستوى مدن أخرى مثل سلا والرباط وتطوان قبل بناء الملاحات بها.[36]

33. اللحية، **محددات نشأة المدينة**، 152.
34. بالباس، **الحواضر الأندلسية** ج.1، 336.
35. Tolédano, *Le temps du Mellah*, 20.
36. انظر عن ما جاء عن مختلف هذه الروايات في الخمليشي، "بناء الملاحات بالمغرب،" 23-24.

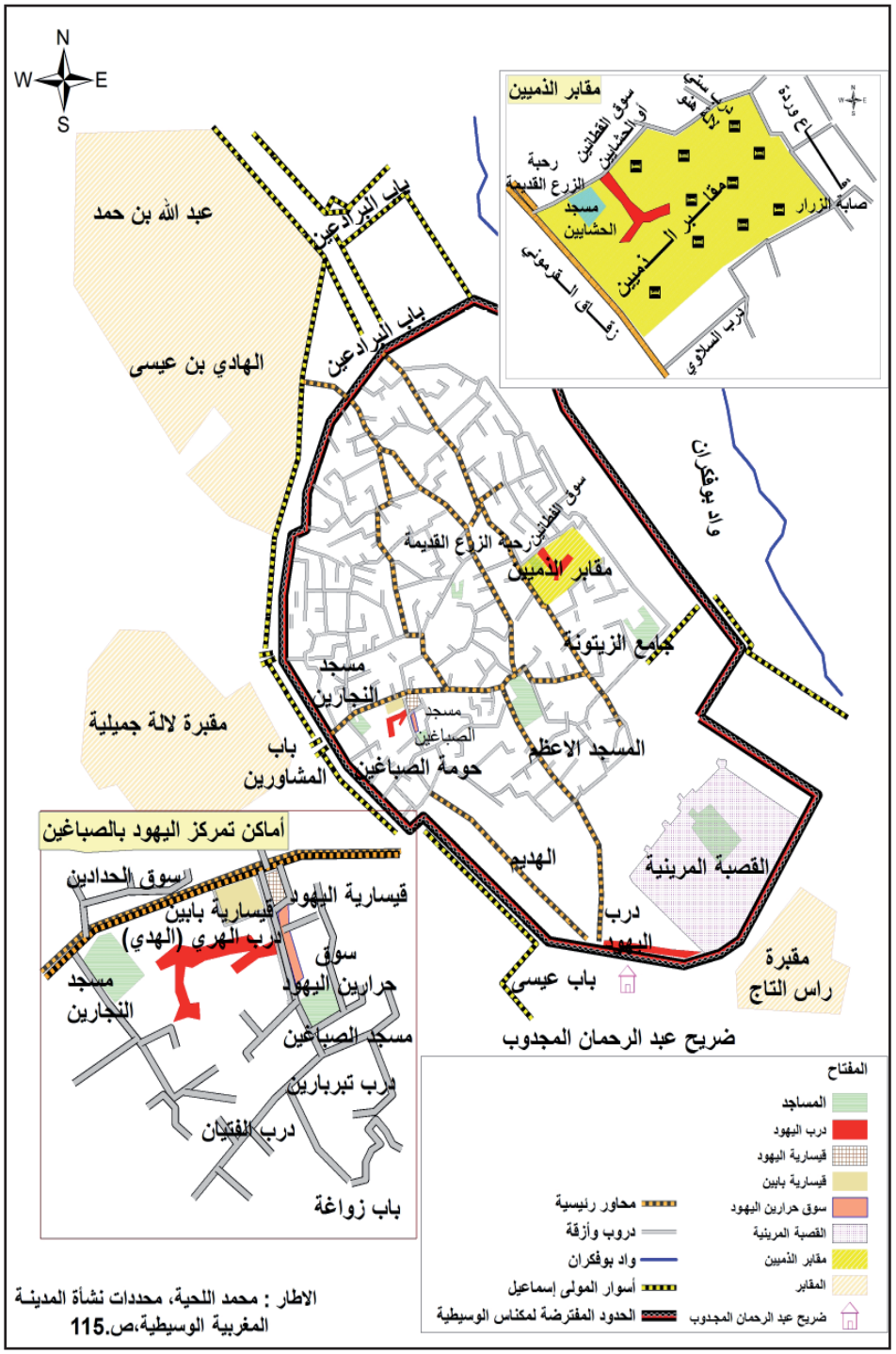

الاطار : محمد اللحية، محددات نشأة المدينة المغربية الوسيطية،ص.115.

الشكل رقم 1: مواقع تمركز اليهود بمكناس قبيل عهد المولى إسماعيل

II. بناء الملاح

1. سنة 1093 هـ/ 1682م وقرار السلطان بإخراج اليهود من المدينة

لا يتوفر بخصوص السياق التاريخي لبناء ملاح مدينة مكناس سوى رواية مختزلة وغير واضحة في بعض مضامينها، هي رواية القادري التي نقلتها عنه غالبية المصادر، مع إضافة توضيحات محدودة في بعضها، وإدخال تغييرات طفيفة على صياغته في بعضها الآخر.

ويُدرج القادري خبر بناء المولى إسماعيل لملاح المدينة باعتباره حدثا معزولا غي سياق أحداث سنة 1093 هـ/1682م بكتابة ما يأتي:

> "وأخرج السلطان مولانا إسماعيل اليهود من مكناسة ليبني لهم بخارجها، فبنا لهم الملاح الذي بخارجها اليوم، وأخليت ديارهم، فطولب أهل تافيلالت الذين بفاس ممن كان ساكنا بفاس الجديد وغيرهم بسكناها، فلم يزالوا يخرجون فيسكنون بالكراء وضاقت عليهم المنازل."[37]

يتبين من محتوى هذا النص، أن السنة المذكورة شهدت تفعيلا لإجراءين سلطانيين، يتعلق أولهما بإفراغ اليهود لمساكنهم الموجودة بالمدينة ونقلهم إلى الملاح الذي بُني لهم بخارجها، وثانيهما بترحيل أهل تافيلالت وغيرهم من مدينة فاس الجديد إلى مكناس وإسكانهم في الدور اليهودية التي جرى إفراغها. بيد أن العلاقة بين الإجراءين الواردين في هذه الرواية تبدو غامضة، وقد يوحي التقيد بمضمونها للمتسرع في قراءتها بأحد الاحتمالين: إما أن استقدام السلطان لأهل تافيلالت إلى مكناس كان ضروريا لتعمير دور اليهود المفرغة، فيكون إخراجه لهم منها في هذه الحالة ناجماً عن أسباب أخرى. وإما أن يكون العكس هو الذي قد حصل، بمعنى أن رغبته في توفير مساكن لفائدة أهل تافيلالت بمكناس ربما حملته على إلزام اليهود بترك منازلهم حتى يتسنى له إيواء الوافدين الجدد على المدينة تحت سقوفها.

---

37. محمد القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، ج.2 (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1982)، 305.

وهذا الاحتمال الأخير هو الذي تبناه فعلا الباحث الخمليشي، في مقاله سالف الذكر. وانطلاقا من فهمه القاضي بأن المقصود بـ"أهل تافيلالت" في النص، هم الشرفاء العلويون، جعله يذهب في تأويله إلى التسليم بأن الداعي لإفراغ مساكن اليهود بمكناس، هو الرغبة في إيجاد محلات سكنية بها لفائدة هؤلاء الشرفاء، وعلل هذا الإجراء بأنه يدخل في سياسة السلطان القائمة على التقرب من هذه الفئة بمنحها امتيازات عقارية وغيرها، وأن اهتمامه بشرفاء فاس تحديدا يكتسي أهمية خاصة، حيث كان استقدامهم إلى مكناس–حسب افتراضه–يأخذ بعدا سياسيا، يقضي بصرفهم عن أمور السياسة ووضعهم تحت مراقبته القريبة.[38]

وفي واقع الأمر، يبدو لنا أنه من الصعب جدا التسليم بصحة أي من هذين الاحتمالين، وينبغي البحث عن الدوافع الحقيقية وراء اتخاذ هذين الإجراءين في إطار السياسة العمرانية للسلطان المولى إسماعيل بمكناس، والتساؤل أيضا عن مدى تأثير وباء الطاعون الفتاك الذي استشرى في البلاد ما بين سنتي 1678 و1680،[39] على إيقاعها وسير أشغالها.

لبيان ذلك، وجب التذكير بما سبق توضيحه في مناسبة أخرى بشأن هذه السياسة ومراحل تطبيقها.[40] انسجاما مع قرار السلطان القاضي باتخاذ مدينة مكناس عاصمة ملكه، وجه عنايته الكبيرة إلى تغيير مشهدها العمراني بما يليق بالحكم والحاكم. ولأجل ذلك، انخرط في سلسلة من الأشغال يمكن ضبط إيقاعها وسيرها، تبعا لطموحاته في ثلاث مراحل متميزة، وما يهم الموضوع منها بوجه خاص هي مرحلة (1674-1688) تشييد الملاح.

وخلال هذه المرحلة التي انشغل فيها السلطان بمواجهاته الداخلية وتحرير الثغور، اقتصر في طموحه العمراني تجاه عاصمته على تحقيق هدفين:

---

38. الخمليشي، "بناء الملاحات بالمغرب،" 23-24.

39. انظر حول خطورة هذا الطاعون وقوة فتكه: محمد استيتو، **الفقر والفقراء في القرنين 16 و 17** (وجدة: مؤسسة النخلة للكتاب، 2004)، 79؛ برنار روزنبيرجي وحميد التريكي، **المجاعات والأوبئة في مغرب القرنيين 16 و 17**، ترجمة عبد الرحيم حزل (الرباط: دار الأمان ، 2010)، 231، 268.

Germain Moüette, *Histoire des conquestes de Moulay Archy, connu sous le roy de Tafilet, et de Moulay Ismail, ou Smein...*(Paris: Éditions Couterot ,1683, réimprimé in: S.I, 2ème série, France, TII):174.

40. محمد القبلي وآخرون، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، (الرباط: المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، 2011)، 414-418.

أولا، إقامة بلاط جديد جدير بملكه على مستوى القصبة المرينية الملتصقة بالمدينة الوسيطية، من ناحيتها الشمالية الشرقية والجنوبية. وذلک بالعمل من جهة، على إعادة بناء جميع هياكلها الدفاعية وقصورها ومرافقها الداخلية من جديد. والعمل من جهة أخرى، على إيجاد فضاء فارغ فاصل بينها وبين المدينة، وهو ما استوجب هدم كل الأحياء الواقعة على هذا المستوى، ويتعلق الأمر بأحياء القورجة وشطر من حيي عقبة الزيادي وصدراتة في الشمال الشرقي للمدينة، وأحياء درب الغولة ودرب الگزارين وزواغة ودرب اليهود، الواقعة بجنوبها وجنوبها الشرقي.

ثانيا، إعادة تهيئة الأطراف الهامشية للمدينة الوسيطية بما يلاءم تصوره لمواضع أسوارها وأبوابها التي أعاد بناءها كذلک بناء جديدا. ويدخل أيضا في نطاق هذه التهيئة إعداد أماكن الأحياء الجديدة التي سيرحل إليها سكان الأحياء المهدمة المذكورة، والعناصر الوافدة أو التي وقع ترحيلها إلى العاصمة من مناطق أخرى خلال مدة حكمه، وهي أحياء جناح لامان وقاع وردة وتيزيمي وبريمة والملاح.[41] (الشكل2)

انتهى السلطان من تحقيق قسم من مشروعه الأول، وهو تشييد قصبته الجديدة في نهاية سنة 1677، حيث يسجل الأسير موويت (Moüette) في هذا السياق، احتفاء المولى إسماعيل بتدشين مرافقها وقصورها الجديدة بحضور جميع أعيان قبائل مملكته، وذلک بعد العودة من مواجهاته الطاحنة مع الدلائيين إلى عاصمته.[42]

على أنه لم يمر على احتفاء السلطان ببلاطه الجديد سوى وقت قصير، حتى انتاب المغرب مع منطلق السنة اللاحقة طاعون كاسح، صنفته بعض الدراسات ضمن أخطر الطواعين الفتاكة التي ضربته خلال القرن السابع عشر، لاقترانه بالجفاف والمجاعات، واتساع رقعته الجغرافية وطول مدة استشراءه التي تراوحت حسب المناطق بين سنتين وأربع سنوات. وفي مدينة مكناس، جثم الطاعون على صدور الناس وهم عاجزون تمام العجز عن مقاومته زهاء ثلاث سنوات، فحصد في إثرها قرابة 52 ألف ضحية،[43] مما كان له بالغ الأثر على سير أشغال البناء السلطانية بها بكيفية محسوسة جدا.

41. اللحية، **محددات نشأة المدينة**، 117-137.

42. Moüette, *Histoire des conquestes*, 111.

43. Ibid., 11.

الشكل رقم 2: مكناس بعد تعديلات المولى إسماعيل في القرن XVIII (الأحياء المضافة)

وعلاوة على مساهمة وباء الطاعون في تعطيل هذه الأشغال طوال مدة مكوثه، طرحت نتائجه الديموغرافية العميقة أمام السلطان مشكل توفير الطاقة البشرية واليد العاملة الخبيرة الضروية لاستئناف مشاريعه العمرانية بغية إتمامها. ولا أدل على ذلک، أنه حين فكر عند نهاية سنة 1780، في إنشاء حدائقه وجنانه جنوب قصبته المذكورة اضطر إلى تسخير جميع الفئات الاجتماعية بالمدينة بما في ذلک القواد والشرفاء، بل واضطر إلى المشاركة شخصيا في أعمال الغراسة.[44]

كما أن تجميعه للأسرى المسيحيين الموزعين بمختلف المدن المغربية والإتيان بهم إلى مكناس عند مطلع السنة اللاحقة، لم يكن دون شک، إلا بهدف استخدامهم في أعمال البناء التي قرر استئنافها،[45] والتي كان من مراميها، فصل قصبته عن المدينة بهدم جميع الأحياء الملاصقة لها، من جهة، وهدم أسوار وأبواب المدينة القديمة بغية بنائها من جديد وتهيئة الأماكن الضرورية لإقامة الأحياء الجديدة، من جهة أخرى.

ومن هنا، لا سبيل إلى الشک في أن يكون إقدام السلطان في هذه الظروف على ترحيل أهل تافيلالت ومن معهم من فاس الجديد إلى مكناس، جزءاً من خطة استهدف بها تقوية الوزن الديموغرافي للعاصمة، وتسخير طاقات الرجال المرحَّلين إليها في أشغاله المذكورة. ومن غير المستبعد أيضا أن يكون هذا الإجراء السلطاني قد اتخذ في الوقت ذاته لإضعاف قوة أهل فاس وكسر شوكتهم، أملا في الحد من قدرتهم على إزعاجه بخلق بعض المتاعب الإضافية.[46]

علاوة على ذلک، يجب التنبيه إلى أن "أهل تافيلالت" المشار إليهم في نص القادري، لا يراد بهم الشرفاء العلويون، كما اعتقد ذلک عبد العزيز الخمليشي، وإنما المراد بهم فيما يبدو من كناش "بيوتات مكناس" سابق الذكر، ذوي الأصول الفيلالية المنتمية لمنطقة "تيزيمي."[47]

أما ما جاء في رواية القادري عن إسكان السلطان لهم بدور اليهود بعد إخلائها، فلئن ثبتت صحة ذلک، فإن تعميرهم لها لن يكون إلا مؤقتا بالنظر إلى أن

44. Ibid., 141.
45. Ibid., 125.
46. راجع في هذا الصدد: عبد السلام القادري، **المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد** (فاس: المطبعة الحجرية الفاسية، 1351)، 229.
47. ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، 216.

كلا الحيين اليهوديين بباب عيسي وبمقابر الذميين، كانا ضمن الأحياء التي هدمت ما بين سنتي 1093-1095هـ/1682-1684م. الأول، لوجوده داخل الفضاء المخصص للمنطقة الفاصلة بين البلاط السلطاني والمدينة، والثاني لتوقف وظيفة المقابر وقرار السلطان بتحويل قسم منها إلى دور للدباغة، كما سلفت الإشارة إلى ذلك، وهذا فضلا عن أن المنحدرين من الأصول الفيلالية المنتمين لتيزيمي قد خُصص لهم فيما بعد حي يحمل اسمهم.[48]

بقي أن نتساءل عن التاريخ الفعلي لبناء الملاح، ذلك أن تاريخ سنة 1093هـ/1682م الوارد في رواية القادري، يبدو من خلال صياغتها أنه لا يشير سوى إلى تاريخ صدور قرار السلطان بإخلاء اليهود لمساكنهم، ودون أي ضبط حتى لتاريخ صدور قراره على مستوى هذه السنة. وعلى أساس أن إصدار السلطان لقراره قد كان في غضون شهر يونيو من السنة، وذلك بناء على إفادة أوردها ابن الحاج تجعل حدوث ذلك مباشرة بعد انتهاء السلطان من تأديبه لبني عامر في 20 ماي 1681،[49] فإنه من الصعب الخوض في تقدير المدة التي تطلبها بناء الملاح بعد ذلك، ولا في بذل أي محاولة للإحاطة بظروف بنائه. وبناء عليه، فإن ما يمكن اعتماده في هذا الصدد هو الاقتصار على رواية الأسير بروكس (Brooks) للقول بأن تشييد ملاح مكناس تحقق تحت إشراف شيخ اليهود أبراهم معمران، وبالاعتماد على خدمات الأسرى الإنجليز والبرتغال مقابل دفعه ثمن فديتهم للسلطان.[50]

2. قراءة في المكونات المادية للملاح

بالنسبة للموقع، وخلافا لما كان يبدو عليه الملاح بعد عصر المولى إسماعيل، من وجوده بموقع هامشي عند آخر نقطة عمرانية بالطرف الغربي لمكناس، فقد كان يحتل زمن تشييده نقطة مركزية بين هذه المدينة ومدينة الرياض أو"المدينة العليا" التي تم إنشاؤها بجانب أسواره الغربية حتى تكون مقرا لأعيان الدولة

48. اللحية، **محددات نشأة المدينة**، 136.

49. أحمد بن الحاج السلمي "الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن،" دراسة وتحقيق أحمد إيشرخان، شهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2002-2003، ج. 2، 398.

50. Francis Brooks, *Navigation faite en Barbarie par Francis Brooks* (Utrecchte: 1737), 13-14.

ووجهائها، ممثلة بذلك وبحق، مدينة قائمة الذات تضاهي نظيرتها الأصلية بأزقتها وشوارعها المنظمة، وبمسجدها الجامع ومرافقه الدينية والاقتصادية والعمومية. ولم يصبح للملاح وضعه الجغرافي الهامشي، الذي يوحي بالإقصاء والعزل،[51] إلا بعد اختفائها الكارثي سنة 1143 هـ/1730م.[52]

ومن الأهمية بما كان التأكيد هنا على حضور البعد الاقتصادي بقوة عند اختيار السلطان لموقع الملاح بين المدينتين المذكورتين. وبالرجوع إلى وثائق الحوالات الحبسية، يلاحظ انتشار المرافق الاقتصادية الموجودة تحت تصرف اليهود داخل مدينة الرياض، وعلى امتداد الشارع الذي توجد بدايته الأولى أمام باب الملاح، والصاعد نحو المدينة، فضلا عن سوق الصياغة بشارع السكاكين الذي استأثروا بنشاطه جملة وتفصيلا.[53]

ومن البديهي تفسير هذا الامتداد الاقتصادي لليهود خارج ملاحهم بإدراك السلطان لمدى أهمية نشاطهم الصناعي والتجاري وحيويته، وبسعيه بالتالي إلى استغلاله في تقوية عائداته الضريبية التي غالبا ما وقع الحديث عن ارتفاعها وعدم خلوها من الابتزاز في حق اليهود والمسلمين على حد سواء.[54]

هذا بخصوص أهمية موقع الملاح، أما فيما يتعلق بأبعاده المعمارية وتنظيم فضائه الداخلي، فثمة خاصيتان تكاد تكونان مشتركة مع كافة أحياء المدينة التي تحقق تشييدها بأمر من السلطان وهي:

أولا إحاطته بالأسوار من جميع جوانبه، مع انفتاحه على الخارج عبر باب واحد اختيرت له الواجهة الشمالية لالتصاق أسواره بالجانبين الشرقي والغربي للمدينتين المذكورتين، ومجاورته من ناحيته الجنوبية للفضاء الفارغ الخاص بالقصبة السلطانية. وبطبيعة الحال، يمكن تفسير إحاطة الملاحات في المدن الأخرى بالأسوار

51. Pierre Loti, *Le Palais des Ohana*, in: Joseph Tolédano, 333.

52. محمد اللحية، "الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر (1850-1912)،" دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1984، مرقون، 29.

53. **الحوالة رقم 4**، نس.أ، 209-211.

54. يُراجع في هذا السبيل القبلي وآخرون، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، 421؛

Albert Guigui, "Historique de la Communauté Juive de Meknès," in *Les Relations entre juifs et musulmans en Afrique du Nord, XIXe-XXe siecles*, actes du colloque international de l'Institut d'histoire des pays d'outre-mer, Abbaye de Senanque, octobre 1978, 118-128 (Paris: Éditions du Centre national de la recherche scientifique, 1980).

بضرورات أمنية وبرغبة اليهود أنفسهم في تأمين استقلالهم الديني والاجتماعي، حسب بعض الدراسات المتفائلة، أو بهدف الإقصاء والحجز من منظور نظيراتها المتشائمة.[55] لكن، كيف يمكن تفسير ذلك في الحالة الخاصة بملاح مكناس، إذا علمنا أن جميع الأحياء التي حرص هذا السلطان على إضافتها بالمدينة، قد أحيطت أيضا بالأسوار، بما في ذلك مدينة الرياض ذاتها، إذ يستشف من الوثائق أنه لم يترك لها من المنافذ سوى باب داخلي يستند على الركن الجنوبي الغربي لسور مقبرة الملاح، وبابها الرئيسي المعروف اليوم بباب الخميس؟[56]

وفي حقيقة الأمر، ليس لدينا أي تفسير مُحتمل يمكن تقديمه للبت في مسألة إقدام السلطان على الفصل بين أحياء المدينة السكنية بواسطة الأسوار، ولاسيما الموجودة منها داخل محيط سورها الخارجي، مثل قصبة قاع وردة وتيزيمي وجناح لامان، اللهم إلا إذا استثنينا حرصه الشديد على ترتيبها مجاليا ورغبته الأكيدة في السيطرة عن كثب على القاطنين بها وضبط أحوالهم إداريا. ومع ذلك، لا نستبعد أن تكون مسألة فصل الملاح قد اقترنت أيضا برغبة اليهود في أن يجدوا لأنفسهم دلالة جغرافية ضمن خريطة المدينة، بالانفصال داخل مجال خاص بهم، قد يتيح لهم التمكن من لم شمل طائفتهم بعد أن ظلت مجموعاتها حتى هذا التاريخ مشتتة، ويضمن لهم بالتالي إمكانية الإقبال على حياتهم اليومية والدينية في استقلالية كاملة.

ثانيا، خضوع فضائه الداخلي لتنظيم ملموس تتجلى ملامحه في ثلاث مستويات:

- على مستوى وضع الأزقة

تتشكل شبكة الطرق بالملاح من محور رئيسي ينطلق من مدخله ويمتد جنوبا إلى درب المقبرة، كما يمتد عن يمينه انطلاقا من الدرب الثاني محور آخر يسير بموازاته وينتهي مباشرة عند المقبرة المذكورة. وتتوسط المحورين على طول امتدادهما كتلة

55. شمعون ليفي، "الطائفة اليهودية في إطار تاريخ المغرب من القرن السابع عشر إلى الربع الأخير من القرن العشرين،" ضمن كتاب: **التاريخ الحديث والمعاصر ليهود المغرب**، تعريب علي تزيلكاظ (الرباط: دار الستوكي للنشر، 1982)، 37 .

56. **الحوالة رقم 4**، نس.أ، 209-211.

عمرانية مستطيلة، يتفرع عنهما يمينا ويسارا حوالي خمسة عشر دربا. وتتميز هذه الشبكة بعنصريها، أي المحورين والدروب المتفرعة عنهما، بعرضها الذي لا يقل عن ثلاثة أمتار،[57] وباستقامتها وتقاطعها في شكل زاوية قائمة، مما يعد دليلا قويا على خضوعها لتخطيط منظم مسبقا.

ولا غرو إذا وجدنا غالبية الرحالة الأجانب ممن زاروا المدينة منذ عصر المولى إسماعيل وإلى مطلع القرن العشرين، يقدمون انطباعات إيجابية عن اتساع أزقة ملاح مكناس وانتظامها.[58] لكن يبدو أنهم حين يشيدون بوضعها المنظم، فكأنهم يتحدثون عن حالة محدودة على نطاق الملاح تخصه وحده؛ بل نجد من بينهم من عبر عن ذلك بكيفية مباشرة من خلال المقارنة بين وضع تلك الأزقة الإيجابي بالملاح، وما اتسمت به من ضيق والتواء على مستوى بقية أحياء المدينة.[59]

وفي واقع الأمر، لئن كان حكم هؤلاء لا يخلو من صواب بالنسبة لأحياء المدينة الوسيطية، فالأمر يختلف بالتمام مع كل الأحياء المبنية بها بأمر من السلطان، سواء تلك التي شيدت بداخلها، مثل أحياء قاع وردة وتيزيمي وجناح لامان، أو بخارجها مثل حيي بريمة وقصبة هدراش، حيث يلاحظ أن نسق الأزقة المنتظمة بشكل ملحوظ في الملاح، يتكرر على مستواها بكيفية تميزها بجلاء على مستوى النسيج الحضري العام للمدينة. وهو الأمر الذي يؤكد أن اختطاط السلطان لمدينة مكناس والملاح كان وفقا لرؤيا شمولية استمد مرجعيتها من التقاليد الحضرية الإسلامية المتقدمة، كما سبق توضيح ذلك.[60]

---

57. استنادا إلى الحديث الشريف المنظم لسعة الأزقة بالتجمعات السكنية، لم يكن السلطان المولى إسماعيل يأخذ سوى بالحد الأدنى الذي يسمح به الحديث، وهو سبعة أذرع، الذي يلاحظ التزامه في تطبيقه في الغالب بالأحياء المضافة في عهده ومنها الملاح. وتعادل سبعة أذرع إذا ما اعتبرنا الذراع 0,50 سنتم 3 أمتار و3,80 أمتار إذا اعتبر الذراع 0,55 سنتيم، انظر: محمد اللحية، **محددات نشأة المدينة**، 146.

58. ينظر عن بعض هذه الانطباعات بالنسبة لعصر المولى إسماعيل: Tolédano, *Le temps du Mellah*, 67

وينظر بخصوص القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين:

Oskar Lenz, *Tombouctou. Voyage au Maroc, au Sahara et au Soudan*, vol.1 (Paris: Hachette, 1866), 186; Messaouad elfassy, Ribbi, *A une journée de marche de Fès,* in Tolédano, *Le temps du Mellah*, 338.

59. Dominique Busnot, *Récits d'aventures au temps de Louis XIV. Voyages entrepris par le P. Busnot pour obtenir le rachat des captifs. Règne de Mouley Ismaël, sultan du Maroc. Supplices endurés par sa famille et par ses sujets. Dramatiques évasions d'esclaves chrétiens*. Introd. et notes par Mola (Paris: P. Roger, 1928), 32.

60. محمد اللحية، **محددات نشأة المدينة**، 146؛ القبلي وآخرون، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، 417.

- على مستوى التنظيم المكاني

تقدر مساحة الفضاء الداخلي للملاح بحوالي 5 هكتارات و23 آر و30 سنتيار.[61] وعلى الرغم من صغرها، مقارنة بمساحة ملاح مراكش مثلا التي قُدِّرت عند بدايتها بحوالي 18 هكتار،[62] فقد وقع استغلالها على نحو عملي، بتقسيم فضائها بين ثلاث قطاعات شملت المقبرة والمرافق الاقتصادية والأحياء السكنية، وبالحرص عند اختيار مكان كل واحد منها على مراعاة طبيعة وظيفته الاجتماعية أو الدينية أو الاقتصادية.

وتغطي مساحة المقبرة حوالي هكتار واحد و 20 آر. ويعد وجودها بداخل أسوار الملاح سمة مميزة له، إذا ما راعينا أن مقابر ملاحي فاس ومراكش تقع خارج أسوارهما.[63] ويميز المقبرة بملاح مكناس أيضا، امتدادها بموقع منعزل على أطرافه الغربية والجنوبية. ومن الواضح أن إبعادها بهذه الكيفية قد كان بهدف تمكين اليهود من حرية ممارسة طقوسهم الجنائزية الخاصة في مأمن عن عيون المسلمين، فضلا عن أن موقعها المنزوي كان يمنحها حرمة ساهمت في صيانتها إلى حد ما، إلى بداية القرن العشرين، إذ أشارت في شأنها الصحفية سيسيت (Saisset) بأنها قد كانت من بين أجمل المقابر اليهودية بالمغرب.[64]

وعلى نقيض مكان المقبرة المحجوب خلف الأحياء السكنية، أقيمت الأسواق وباقي المرافق الاقتصادية في المحيط الداخلي لباب الملاح وعلى امتداد المحور الرئيسي، مرتبة على طريقة الأسواق في نموذج المدينة الإسلامية، ضمن مجموعات طوبوغرافية خاصة بكل مهنة، أورد عنها الزعفراني وصفا دقيقا.[65] وبطبيعة الحال، فإن إقامة هذه الأسواق على مقربة من باب الملاح، لا يحتمل من تفسير آخر، سوى أن نشاطها كان موجها لليهود والمسلمين معا.

---

61. تم الاعتماد في تقدير هذه المساحة على تصميم مقياسه: 1/5000 وباستعمال أوطوكاد.

62. گاستون دوفردان، **تاريخ مراكش من التأسيس إلى الحماية**، ترجمة محمد الزكراوي وخالد المعزوزي، ج.2 (الرباط: دار أبي رقراق، 1912)، 415.

63. ينظر بالنسبة لمقبرة مراكش: دوفردان، **تاريخ مراكش**، ج.2، 415؛ وينظر بالنسبة لمقبرة ملاح فاس: لوطورنو، **فاس قبل الحماية**، ج.1، 159.

64. انظر ما يلي:

Pascale Saisset, *Les heures juives au Maroc*, in Tolédano, *Le temps du Mellah*, 356.

65. حايم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب**، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، (الدار البيضاء: السحب مطبعة دار قرطبة، 1987)، 156.

أولا لأن ارتياد المسلمين لأسواق الملاح كان أمرا لا مناص منه بحكم أن منتجات من قبيل خيوط الصقلي والشمع المقطر من عسل النحل ومواد الصياغة وقطع الذهب وما إلى ذلك من المستلزمات، لا يمكن الحصول عليها إلا في الملاح نتيجة احتكار اليهود لصناعتها وتجارتها.[66]

ثم إن أسواق الملاح، حسبما تضمنته إحدى وثائق القرن التاسع عشر، تمثل الواجهة المعتادة لدى سكان الأحياء القريبة، مثل أحياء "الروى" و"الزيتون" و"الجبابرة" و"قصبة سيدي سعيد" و"قصبة الشرفاء" و"أهل تولال" التي يترددون عليها بغية اقتناء حاجياتهم الضرورية. كما أنها، وحسب الوثيقة ذاتها، كانت مقصدا لدى بعض سكان المدينة والمناطق المجاورة للتمكن من بيع بعض منتجاتهم الغذائية، مثل الرحويين (أرباب المطاحن) ممن اتخذوا بها دكاكين لبيع الدقيق، أو سكان منطقة زرهون ممن اعتادوا ارتيادها في مواسم الخريف لبيع أعنابهم بها.[67]

وتضعنا كل هذه القرائن أمام وجود منطق عملي وراء تحديد موقع المقبرة والمرافق الاقتصادية بالملاح، لكن ماذا عن وضع أحيائه السكنية؟

تتوزع أحياء الملاح على طرفي محوريه المذكورين، بانتظام منازلها على امتداد الدروب المتفرعة عنهما، وهي بهذا الموقع تتقيد بما هو معهود في أحياء المدينة الإسلامية من احتلالها الدائم لأطراف مراكز الأنشطة الاقتصادية. ولذلك، فإن موقع أحياء الملاح في حد ذاته ليس بالشيء الأساسي الذي يلفت النظر، بل هو الوضع الخاص بمنازلها.

وإذا تأمل المرء تصاميم الملاح المرسومة انطلاقا من الصور الجوية، سوف يلاحظ أنه باستثناء الركن الشمالي الشرقي الذي فقد مظاهر تنظيم دروبه ومساكنه، فقد تبدو السمة الغالبة على بقية أجزائه، إضافة إلى دروبها المتوازية والمستقيمة، هي تقارب منازلها في حجمها وشكلها مع تناسق أضلاعها، مما يفيد بأن بقعها قسمت وفقا لنظام هندسي (الشكل رقم3).

وبالعودة إلى محتويات الوثائق المتوفرة، يتبين حقا أن شبكة الطرق ليست وحدها التي خضعت للتنظيم الهندسي، كما سبق الذكر، بل عملية تقسيم البقع

66. نفسه، 150-154.

67. وثائق محتسب مدينة مكناس في عهد المولى الحسن الحاج محمد أجانا؛ اللحية، **الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس**، 216.

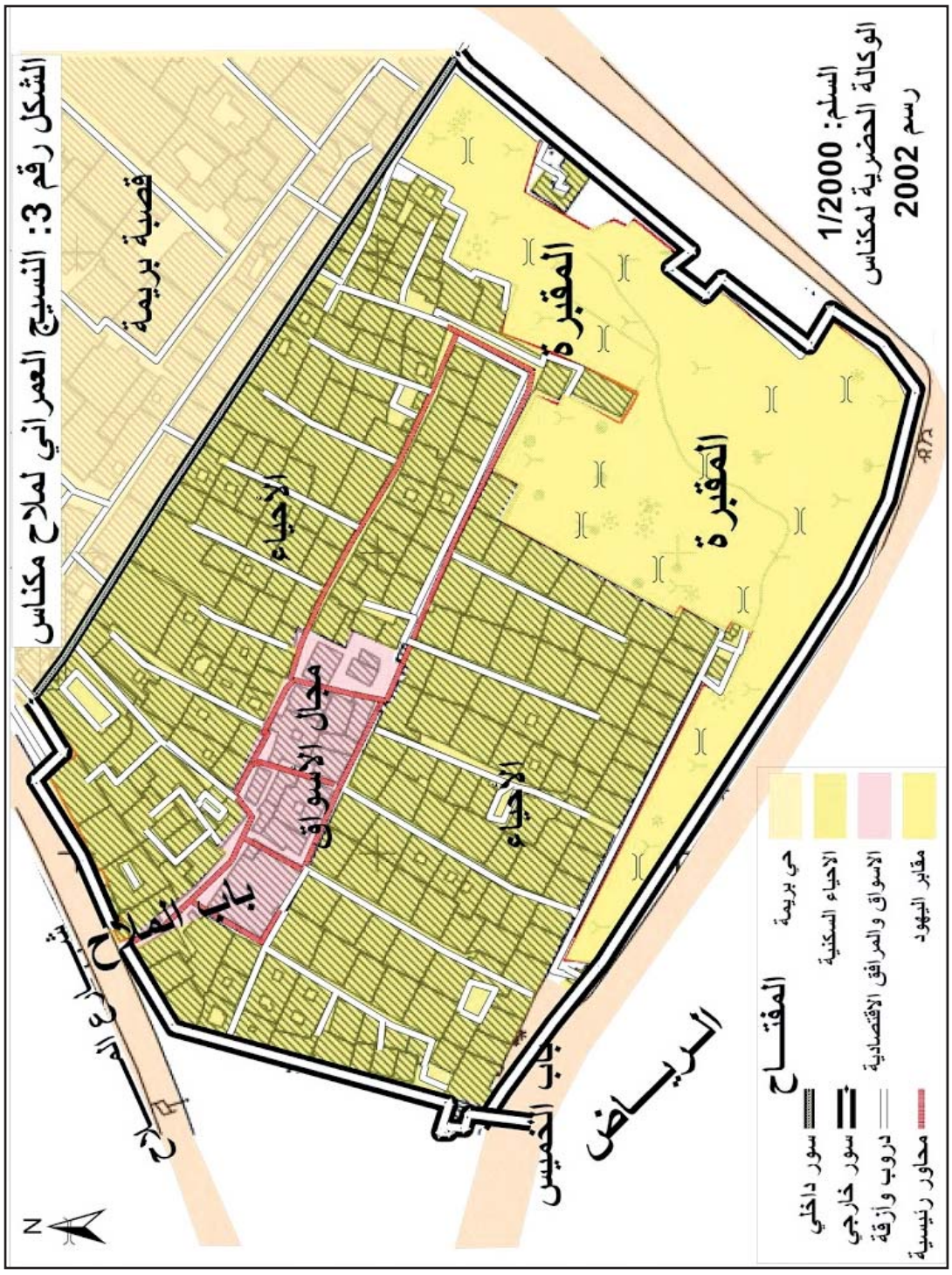
الشكل رقم 3: النسيج العمراني لملاح مكناس
السلم: 1/2000
الوكالة الحضرية لمكناس
رسم 2002
قصبة بريمة
الأحياء
مجال الأسواق
المقبرة
المقبرة
الأحياء
باب الخميس
الرياض
شارع الملاح
باب العلو
N
المفتاح
حي بريمة
الأحياء السكنية
الأسواق والمرافق الاقتصادية
مقابر اليهود
سور داخلي
سور خارجي
دروب وأزقة
محاور رئيسية

الأرضية ذاتها.[68] وما يمكن أن يستشف من الوثائق، هو أن تهيئة الأحياء كانت تنجز عبر مراحل وبكيفية خضع فيها تقسيم الأراضي لنظام هندسي دقيق. وفي البداية، عمل السلطان على تحرير أراضيها لفائدة بيت المال بشرائها من مالكيها السابقين أو بتعويضهم عنها.[69] وبعد خلوصها للمخزن، قسمت إلى بقع أرضية باعتماد وحدة قياسية هي "القسمة،" ومساحتها "ثلاثون ذراعا طولا وعرضا،" أي ما يقارب 225 مترا مربعا، إذا اعتبرنا الذراع يساوي 0.50 سنتم أو 272 مترا مربعا، إذا اعتبرناه يعادل 0.55 سنتم. وحدد أيضا ثمن القسمة في "ثلاثة عشر مثقالا دراهم لكل قسمة."[70] وعلى أساس هذه الوحدة، تباع البقع الأرضية على أساس أنها مشتملة على قسمة واحدة أو قسمة وثلث أو على قسمتين. وكان بيعها يمثل موردا آخر من موارد بيت المال. وفي المقابل، قد يتمتع المشترون لها من بين الموطَّنِين بهذه الأحياء بحقوق الملكية الخاصة بها كاملة.

ومما لاشك فيه أن تقسيم أراضي الملاح إلى بقعها الهندسية وفقا لما تظهر عليه بوضوح على التصاميم المذكورة، وكذا تملك اليهود لها ولمختلف عقاراته وأراضيه، قد جرى في سياق هذه العملية بالذات. إن هذا التملك الذي اهتمت بعض الدراسات اليهودية بتسجيله باعتباره خصوصية فريدة تميز ملاح مكناس عن ملاحي فاس ومراكش، فإنها مع ذلك لم تربطه بسياقه التاريخي، واكتفت بتقديمه من باب القرينة الدالة على إن إخراج المولى إسماعيل ليهود مكناس من المدينة إلى الملاح لم يكن بدافع الانتقام.[71] وفوق ذلك، تؤكد بعضها أيضا على استمرار تملك اليهود المطلق لكافة العقارات المذكورة إلى عهد الحماية، مما يبدو منطويا على كثير

68. الملاحظ أن مسألة التخطيط المنتظم للأزقة وتقسيم أراضي الأحياء بنظام هندسي لم تكن قصرا على الأحياء المحدثة بمكناس في عهد المولى إسماعيل، إذ يسجل أندري ريمون وجود الظاهرة نفسها على مستوى عدد من الأحياء المضافة بالمدن العربية الكبرى في العهد العثماني، انظر: أندريه ريمون، 162-163.

69. انظر بصدد هذه النقطة محمد اللحية، "الوضع القانوني لمياه واد بوفكران على عهد المولى إسماعيل،" ضمن **أعمال ندوة واد بوفكران: البيئة والتاريخ وآفاق التهيئة**، (المحمدية: مطبعة فضالة، 1996)، 85-86.

70. **وثائق الفرانسيسكان**: نقدم كنموذج لهذه الوثائق، الوثيقة رقم 30، وهي مؤرخة في رجب 1104هـ/أبريل 1693، ومما جاء فيها: "الحمد لله وقف شهيداه ...على عين البقعة المقتطعة من ارض مولانا المنصور بالله، المسماة بقاع وردة من مكناسة ...المبني عليها دار النصارى الفرايليين الذين يقدمون للحضرة العلية أعلاه، وهي المجاورة لدار وصيف مولانا نصره الله القائد مسرور ودار عبد الرحمان القباب والسور من أسفلها، وسئل منهما تقويمها. فأجابا إلى ذلك...وقوماها بمائتي أوقية ثنتين وست عشرة أوقية وربع الأوقية، لاشتمالها على قسمة وثلث التي قدرها ثلاثون ذراعا طولا وعرضا وثلثي ذلك، من حساب ثلاثة عشر مثقالا دراهم لكل قسمة..."

71. Messaoud Elfassy, Ribbi, *A une journée de marche de Fès,* 338.

من المبالغة، حيث تتعدد الوثائق التي تشهد بانتقال ملكية بعض العقارات، بعد مرحلة هذا السلطان من أيادي اليهود إلى المسجد الأعظم عن طريق البيع.[72]

خلاصة واستنتاجات

نحتفظ بالنسبة لوضع اليهود بمدينة مكناس قبل عهد المولى إسماعيل، بأن كيفية توزيعهم بداخلها تظهر ميلهم نحو العيش في أحياء خاصة، امتدادا بذلك لتقاليد مشهودة بمدن المشرق العربي والمدن الأندلسية. بيد أن اختيارهم العيش في جماعات منفصلة عن المسلمين، لا يعني وجود حدود وتعارض بينهما. إن تمركز بعض مساكن اليهود ومرافقهم الاقتصادية والدينية وسط المدينة، مجاورة لمساكن المسلمين وأسواقهم ومساجدهم، علاوة على شهادته في حق اليهود بتجذرهم القديم بالمدينة، فإنه ليعتبر بحق قرينة دالة على عمق التسامح الديني والتقارب والتعايش الاجتماعي مع المسلمين.

أما عن ظروف بناء الملاح، فإنه خلافا لرواية القادري التي تدرج تاريخ بنائه ضمن أحداث سنة 1093هـ/1682م، كحدث معزول يوحي بأن اليهود وحدهم الذين شملهم القرار السلطاني بالتخلي عن دورهم القديمة للاستقرار في حي جديد؛ فقد تبين من فحص عدد من الوثائق بأن بناءه قد تحقق في سياق سياسة عمرانية شمولية قامت على إزالة كل الأحياء الشرقية المجاورة للقصبة وضمنها الأحياء اليهودية، وأيضا على ترحيل سكانها نحو أحياء جديدة بشرق المدينة وشمالها وغربها.

وارتباطا بهذه السياسة، خضع الملاح في جل أطوار بنائه لنفس الإجراءات السلطانية والضوابط التنظيمية المطبقة في تشييد غالبية الأحياء (تهيئ موضعه وتخطيط شوارعه وتقسيم بقعه الأرضية وتحصينه) ولم يشذ عنها، فيما يبدو سوى في مسألتين:

---

72. **الحوالة رقم5**، نس. مس. حيث يرد بيع عدد من العقارات بالملاح على صفحات: 13-17،14، 46-47، 84، 225-226، 309-308. نفس الحالة تتكرر **بالحوالة** رقم **6** ن نس.مس، على الصفحات التالية:96 ، 111، 167، 168، 186، 214. وضمن الرسوم المذكورة تذكر أسماء بعض الدروب بالملاح، كما أنها غنية بأسماء الأسر اليهودية، مع الإشارة إلى بعض الحرف التي كانت تزاولها.

– في اختيار موقعه، حيث يبدو البعد الاقتصادي حاضرا بقوة في العمل على تشييده في نقطة مركزية تقع بين المدينة الأصلية ومدينة الرياض.

– على مستوى التنظيم المكاني: إن ما يميز الملاح عن باقي الأحياء السكنية بالمدينة المشيدة بتزامن معه، أنه لم يكن مثلها مجرد حي سكني صرف، بل حيا خاصا بسكنى اليهود، وفي ذات الآن سوقا لهم وللمسلمين. ومن ثم، جاء الحرص على مراعاة هذه الاعتبارات عند تقسيم فضائه، فوضعت مساكنهم ومقبرتهم بأماكن متطرفة، وبالمقابل تم اتخاذ مكان المرافق الاقتصادية عند مدخل باب الملاح حتى يرتادها اليهود والمسلمون على حد سواء.

بيان الرموز المستعملة

نس.أ: النسخة الأصلية، المحررة على عهد المولى إسماعيل.
نس.مس : النسخة المستنسخة عن السابقة سنة (1332هـ/1913م).
الحوالة رقم 3: حوالة أحباس المساكين.
الحوالة رقم 4: حوالة المساجد الصغرى.
الحوالة رقم 5: حوالة المسجد الأعظم.
الحوالة رقم 6: حوالة المسجد الأعظم (القسم الثاني).

Bilbiographie

Brooks, Francis. *Navigation faite en Barbarie par Francis Brooks*. Utrecchte: Édition Etienne Neaulme, 1737.

Busnot, Dominique. *Récits d'aventures au temps de Louis XIV. Voyages entrepris par le P. Busnot pour obtenir le rachat des captifs. Règne de Mouley Ismaël, sultan du Maroc. Supplices endurés par sa famille et par ses sujets. Dramatiques évasions d'esclaves chrétiens*. Introd. et notes par Mola. Paris: Édition P. Roger, 1928

al-Dūlāti, ʿAbd al-ʿAziz. *Madinat Tūnus fī al-ʿAhd al-Hafsī*. Tūnus: Dār Sarās li al-Nachr, 1981.

Deverdun, Gaston. *Tārikh Marrākush Min al-Taʾsīs Ilā al-Ḥimāya*. Tarjamat Muhammad al-Zukrāwi wa Khālid al-Maʿzūzī. Al-Ribāt: Dār ʾAbī Raqrāq, 1912.

Guigui, Albert. "Historique de la Communauté Juive de Meknès." In *Les Relations entre juifs et musulmans en Afrique du Nord, XIX^e^-XX^e^ siècles*,

actes du colloque international de l'Institut d'histoire des pays d'outre-mer, Abbaye de Senanque, octobre 1978, 118-128. Paris: Éditions du Centre National de la Recherche Scientifique, 1980

Ibn al-Ḥājj al-Soulamī, Aḥmad. "al-Dur al-Muntakhab al-Mustaḥsan fī Baʿḍi Maʾāthir ʾAmīr al-Mūʾminīn Mawlānā al-Ḥasan." Dirāsat wa taḥqīq Aḥmad Isharkhān, shahādāt al-duktūrāh, kulliyyat al-ādāb wa al-ʿulūm al-insānia, al-Ribāt, 2002-2003.

Ibn Zaydān, ʿabd al-Rahmān. *al-Manzaʿ al-Laṭīf fī Mafākhir al-Mawlā Ismāīl*. Taḥqīq ʿAbd al-Hādi al-Tāzi. Al-Dār al-Baydāʾ: Matbaʿat Idyāl, 1993).

_____. *Al-Izz wa al-Ṣawla fī Maʿālim Nuzum al-Dawla*. Al-Ribāt: al-Matbaʿa al-Malakiyya, 1962.

al-Juznāʾiy, Ali. *Jany Zahrat al-ʾĀs fī Bināʾ Madīnat Fās*. Murājaʿat ʿabd al-Wahāb bin Mansūr. Al-Ribāt: Dār al-Mansūr, 1991.

al-Khamlīshī, ʿAbd al-ʿAzīz. "Ḥawla masʾalat bināʾ al-mallāhāt bi al-Maghrib," *Dār al-Niyyāba* 4 (1987): 121-28, 5 (1988): 30-41.

Koehler, Henry. "Quelques points d'histoire sur les captifs chrétiens de Meknès." *Hespéris* XVIII (1928): 177-187.

al-Laḥya, Muḥmmad. "al-Ḥayāt al-iqtiṣādia bi madīnat Maknās fī al-qarn al-ttāsiʿ ʿashar (1850-1912)." Diblūm al-dirāsāt al-ʿulyā, kulliyyat al-ādāb wa al-ʿulūm al-Insānia, al-Ribāt 1984, marqūn.

_____. "al-Waḍʿ al-qānūni limiāh Wād Būfkrān ʿalā ʿahd al-Mawlā Ismāīl." Ḍimna ʾaʿmāl nadwat Wād Būfkrān: *al-Bīa wa al-Tarīkh wa Āfāq al-Tahyiʾa*, 83-92. Al-Muḥamadiyya: Matbaʿat Fadāla, 1996.

_____. *Muḥaddidāt Nashʾāt al-Madinat al-Maghribiyya al-Wasitiyya wa Tamadunihā, Madinat Maknās (452-645/1060-1247*) Fās: Manshūrāt kulliyyat al-ʾādāb wa al-ʿulūm al-Insānia, Fās-Sāyyis, 2011.

Lenz, Oskar. *Tombouctou. Voyage au Maroc, au Sahara et au Soudan*. Paris: Hachette, 1866.

Lévi-Provençal Évarist. *al-ʾIslām fī al-Maghrib wa al-ʾAndalus*. Tarjamat Maḥmūd ʿAbd al-ʿAzīz salīm wa Ṣalāḥ al-Din Ḥilmī. Al-Qāhira: Dār Nahdat Misr li al-Tibāʿa wa al-Nashr, dūna tārikh.

Lévy, Simon. "Hāra et Mallah: les mots, l'histoire et l'institution (toponyme et histoire)." In *Histoire et linguistique*, Actes de la table ronde déroulée à Marrakech de 25 à 26 Mai 1990, Abdelahad Sebti (éd.), 41-50. Rabat: Publications de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines de Rabat, 1992.

Loti, Pierre. *Le Palais des Ohana*, in Tolédano, Joseph. *Le temps du Mellah,* 333-337. Jérusalem: Éditions Ramtol, 1982.

Le Tourneau, Roger. *Fās Qabl al-Ḥimāya.* Tarjamat Muḥammad Ḥajjī wa Muḥammad al-'Akhdar. Bayrūt: Dār al-Gharb al-Islāmi, 1992.

al-Maqrī, 'Aḥmad bin Muḥamad. *Nafḥ al-Ṭīb Min Ghuṣn al-'Andalus al-Ratīb wa Dhikr Wazīrihā Lisān al-Dīn bni al-Khatīb*. Taḥqīq 'Iḥsān ʿAbbās. Bayrūt: Dār Ṣādir, 1968.

Moüette, Germain. *Histoire des conquestes de Moulay Archy, connu sous le roy de Tafilet, et de Moulay Ismail, ou Smein...* Paris: Éditions Couterot 1683.

al-Qādirī, ʿAbd al-Salām. *al-Maqṣad al-Aḥmad, fī al-Taʿrīf bi Sayyidina Ibn ʿAbd al-Aḥmad*. Fās: al-Matbaʿa al-Hajariya al-Fasiyya, 1351.

al-Qādirī, Muhammad. *Nashr al-Mathāni li'Ahl al-Qarn al-Ḥādi ʿAshar wa al-Thāni*. Taḥqīq Muḥammad Ḥajjī wa Aḥmad al-Tawfīq. Al-Dār al-Baydā': Matbaʿat al-Najāh al-Jadīda, 1982.

Raymond, André. *Al-Mudun al-ʿArabiyya al-Kubrā fī al-ʿAṣr al-ʿUthmānī.* Tarjamat Latīf Faraj. Al-Qāhira: Dār al-Fikr, 1999.

Ribbi, Messaoud Elfassy. *A une journée de marche de Fès*, in Tolédano, Joseph. *Le temps du Mellah,* 338-341. Jérusalem: éd. Ramtol, 1982.

Rosenberger, Bernard. wa al-Trīkī Ḥamīd. *Al-Majāʿat wa al-'Awbi'a fī al-Maghrib fī al-Qarnayn 16 wa 17*. Tarjamat ʿAbd al-Raḥim Ḥuzal. Al-Ribāt: Dār al-'Amān, 2010.

Saisset, Pascale . *Les heures juives au Maroc,* in Tolédano, Joseph. *Le temps du Mellah*. 352-356. Jérusalem: éd. Ramtol, 1982.

Stitou, Muḥmmad. *Al-Faqr wa al-Fuqarā' fī al-Qarnayn 16 wa 17*. Wajda: Mu'assasat al-Nakhla li al-Kitāb, 2004.

Tarīs, Balabas liupūldū. *Al-Ḥawādir al-'andalusiyya*. Tarjamat Muhammad yaʿla. Al-Ribāt: Dār 'abī Raqrāq, 2007.

Tolédano, Joseph. *Le temps du Mellah.* Jérusalem: Éditions Ramtol, 1982.

al-Zuʿfrānī, Ḥayyīm. *'Alf Sana Min Ḥayāt al-Yahūd bi al-Maghrib, Tārīkh Thaqāfa, Dīn*. Tarjamat 'Ahmad Shaḥlān wa ʿAbd al-Ghaniy 'Abū al-ʿAzm. Al-Dār al-Bayḍā': Dār Qorṭoba, 1987.

ملخص:

***Ḥawla ẓurūf tashyyīd mallāḥ madīnat Maknās fī ʿahd al-Mawlā Ismāīl.* (1672-1727)**

حول ظروف تشييد ملاح مدينة مكناس على عهد المولى إسماعيل (1672-1727)

يتوخى هذا المقال، من خلال تناول ظروف تأسيس ملاح مكناس في عهد المولى إسماعيل، الإسهام في مناقشة إشكالية الملاحات المشيدة في المغرب بفعل قرار سياسي ورصد العوامل أو الأسباب التاريخية الفعلية المحيطة بإنشائها، وذلك باعتماد وثائق جديدة، ومعالجتها عبر إعطاء تصور عام عن كيفية تمركز اليهود بمكناس قبيل عهد هذا السلطان، مع الاهتمام بمعالجة الظروف العامة لإنشاء الملاح وإبراز تأثيرها على مرفلوجيته ونسيجه العمراني.

الكلمات المفتاحية: الملاح، مكناس، اليهود، مولاي إسماعيل، نسيج عمراني، مقابر اليهود.

Résumé: Création du Mellah de Meknès sous le règne de Mawlay Ismail (1672-1727)

Les études consacrées au mellahs du Maroc sont depuis quelques temps à l'honneur. Cependant, les sources classiques ne fournissent que peu d'informations relatives aux motivations et enjeux qui avaient poussé tel ou tel sultan à construire des quartiers destinés à ses sujets juifs. Sur la base d'une documentation inédite puisée dans les fonds des habous et de l'église franciscaine à Meknès, cet article, traite la question de l'habitat juif avant la création du mellah à Meknès sous le règne de Moulay Ismail, et analyse les circonstances de la création du dit quartier et de son évolution.

Mots clés: mellah, Meknès, juifs, Mawlay Ismail, tissu urbain, cimetières juifs.

Abstract: Creation of the Mellah of Meknes during the reign of Mawlay Ismail (1672-1727)

Studies on the mellahs of Morocco are for some time in the spotlight. However, conventional sources provide little information concerning the motivations and issues that prompted a particular sultan to build quarters for his Jewish subjects. Based on an original documentation taken from the

funds of Habous and the Franciscan church in Meknes, this article addresses the issue of Jewish settlement before the creation of the mellah in Meknes during the reign of Moulay Ismail, and an analysis of the circumstances of the creation of the said quarter and its evolution.

Key words: mellah, Meknes, Jews, Moulay Ismail, urban fabric, Jewish cemeteries.

Resumen: La creación de Mellah de Meknes durante el reinado del Sultan Mawlay Ismail

Los estudios sobre los mellahs de Marruecos son por algún tiempo en el punto de mira. Sin embargo, las fuentes convencionales proporcionan poca información acerca de las motivaciones y los problemas que llevaron a un sultán particular, para construir cuartos para sus súbditos judíos. Sobre la base de una documentación original tomado de los fondos de Habous y la iglesia franciscana en Meknes, este artículo aborda el tema de los asentamientos judíos antes de la creación de la Mellah en Meknes durante el reinado de Moulay Ismail, y el análisis las circunstancias de la creación de dicha zona y su evolución.

Palabras clave: mellah, Meknes, Judios, Moulay Ismail, judías, tejido urbano, cementerios judíos.